اللغة العربية التحديات والفرص

إسحاق بن عبد الله السعدي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمةً للعالمين بلسانٍ عربي مبين ... أما بعد:

فإن واقع اللغة العربية يشهد مفارقاتٍ كثيرة تدعو لمزيد البحث والدراسة والتأمل من وجوهٍ عدَّة، لعل هذه الورقة تسهم في ذلك وهي بعنوان:

اللغة العربية؛ التحديات والفرص

وسيجري الحديث في المحاور الآتية:

- إلماحات عن تاريخ اللغة العربية وذاتيتها

- التحديات في مسار اللغة العربية

- الفرص المتاحة للغة العربية وسبل الإفادة منها

إلماحات عن تاريخ اللغة العربية وذاتيتها:

اقتضت حكمة الله عز وجل أن تكون اللغة العربية لسان الدين الخاتم والقرآن الكريم بمضامينه العميقة المتنوعة ومبادئه الإنسانية ومراميه الحضارية وخطابه العالمي الكوني العام وهذا يؤكد أنها اللغة المجتباه واللسان القادر أن يستوعب كل جديد وحديث وأن في هذه اللغة من الأسرار ما يستحق التأمل والاستقراء والدراسة والبحث .... وخلاصة ذلك فيما يأتي:

١- نزل القرآن الكريم بلسان العربية وهي في قمة الرقي إذ كانت لغة الأدب والشعر والحرب والسلام والأمثال والحكم وبلغت في ذلك شأواً عظيماً ومنزلة رفيعة ولكنها في دوائر محدودة وأطر ضيقة إذا ما قيست برسالة الإسلام وعالميتها بيد إن الله أعلم حيث يجعل رسالته.

٢- ارتبطت اللغة العربية بشعائر الإسلام وعباداته وغدت جزءًا أساسيًّا من لغة المسلم اليوميَّة وفي حياة الأمَّة الإسلاميَّة عندما أوجب الإسلام أن تكون إقامة الصلاة وتلاوة القرآن وترتيله، ورفع الأذان، والأدعية والأذكار ومناسك الحج ، وسائر الشعائر الدينيَّة باللغة العربية، كما فرض على المسلمين في مختلف الأقطار والأمصار تعلم آي القرآن الكريم وحفظه وفهمه، والإكثار من تلاوته، وتحتم على الإمام والواعظ إتقان العربية، لكي يفهم أحكام القرآن والسنَّة، ويحسن شرحها وتفسيرها، ومعروف أن أحكام القرآن وتعاليمه لا يصح أن تؤخذ إلاَّ من نصه العربي، و لاتعد ترجمته إلى أيٍّ لغة إلاَّ تفسيرًا لمعانيه، فلا تستنبط أحكامه منها١.

٣- لهذا كله ارتفعت منزلة اللغة العربية عند المسلمين، وتفقه المختصون في دراسة علوم العربية ووضع قواعدها في النحو والصرف، والبيان، والمعاني، وموازين الشعر، ورسم الحروف، والخط وغيرها، وألفوا فيها عددًا ضخمًا من نفائس الكتب، ومنهم العرب وغيرهم، ونشطت لذلك بوجه خاص في زمن باكر، مدرستا البصرة والكوفة، فظهر في الأولى مثلاً أول معجم لغوي وأول كتاب في أوزان الشعر، وأشهر كتاب في نحو العربية، منذ أكثر من اثني عشر قرنًا، وهو معجم العين وكتاب العروض للعالم الفذ (الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري) والكتاب (لسيبويه) ، وسبق ذلك وصحبه نشأة سائر علوم الثقافة الإسلاميَّة بدءًا بعلوم القرآن وتفسيره، وعلوم السنة المختلفة، وعلم الفقه وأصوله وغير ذلك٢.

٤- حركة التعريب التي بدأت في (خلافة عبدالملك بن مروان ٦٥

- ٨٦ هـ)٣، الذي بدأ يسك عملة عربيَّة، وكانت الدواوين والأعمال الرسميَّة تكتب باللغة الإفريقية أو الفارسيَّة أو القبطيَّة حسبما تقتضيه الظروف المحليَّة (فغيَّرَ ذلك كله إلى اللغة العربية، وحين أصبحت العربيَّة أداة رسميَّة في الشؤون العامة كان ذلك سببًا في تعميم استعمالها لدى الناس)٤ ،إذ أصبح (لها طابعها العالمي لكونها لغة العلم والبحث والمراسلات الدوليَّة والعلاقات السياسيَّة والاقتصادية، كما كانت لغة الآداب والفنون في مختلف الثقافات التي اعتنق أهلوها الإسلام)٥.

٥- ومِمَّا ساعد على ترسيخ اللغة العربية ونشرها حركة الترجمة التي بلغت أوجهًا في عهد (المأمون) وحققت للغة العربية في بعض جوانبها كما قال أحد المفكرين: (حضارة واحدة عالميَّة المنزع، إنسانية الرؤية وذلك لأول مرة في التاريخ، وفي ظل القرآن الكريم أصبحت العربية لغة عالميَّة، واللغة الأم لبلاد كثيرة، قد عمت المنطقة التي عرفت في ماضيها التأثير السامي فعوضت بيسر اللغات الساميَّة التي كانت شائعة فيها، عوضت الأراميَّة والآشوريَّة في العراق والشام، وبقايا البونيقية في إفريقية، ووجدت في سامية البربر حسب رأى بعض المؤرخين جسرًا واصلاً ومهادًا مكن لها في بلاد المغرب بأكملها وسادت مصر بسبب الهجرات السابقة القديمة وقرب لغتها الحامية من اللغات السامية، أمَّا بلاد فارس فقد بقيت فيها العربية طيلة قرنين لغة الثقافة والإدارة حتى احتدت الشعوبية)٦

والحقيقة الكامنة في هذا التاريخ هو ذاتية اللغة العربية ومميزاتها الأساسية التي اختصها الله بها فكانت سر قوتها وانتشارها ولئن كانت الإحاطة بها من الصعوبة بمكان، فلا أقل من استعراض ملامحها البارزة في الآتي:

أ- كونها اللغة (التامَّة الحروف، الكاملة الألفاظ، لم ينقص عنها شيء من الحروف فيشينها نقصانه، ولم يزد فيها شيءٌ فيعيبها زيادته، وإن كان لها فروع أخرى من الحروف فهي راجعة إلى الحروف الأصلية. وسائر اللغات فيها حروف مُوَلَّدة وينقصُ عنها حروف أصيلة)٧. وقد تحدث العقاد عن هذه الخاصيَّة قائلاً: (فإذا قيس اللسان العربي بمقاييس علم الألسنة، فليس في اللغات أوفى منه بشروط اللغة في ألفاظها وقواعدها)٨. ثُمَّ يعلل ذلك بقوله: (ويحق لنا أن نعتبر أنها أوفى اللغات جميعًا بمقياس بسيط واضح لا خلاف عليه وهو مقياس جهاز النطق في الإنسان، فإنَّ اللغة العربية تستخدم هذا الجهاز الإنساني على أتمه وأحسنه، ولا تهمل وظيفة واحدة من وظائفه، كما يحدث ذلك في أكثر الأبجديات اللغوية)٩. واعترف بعض المستشرقين بهذه الخصيصة، إذ يقول (رينان): (من أغرب المدهشات أن تثبت تلك اللغة... وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحاري عند أُمَّة من الرُّحَّل، تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها)١٠، ويستمر في وصف خصيصة عميقة تفردت بها لغة القرآن، فيقول: (ولم يعرف لها في كل أطوار حياتها طفولة ولا شيخوخة، ولا نكاد نعلم من شأنها إلاَّ فتوحاتها وانتصاراتها التي لا تبارى، ولا نعرف شبيهًا بهذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملة من غير تدرج وبقيت حافظة لكيانها من كل شائبة)١١.

ب- لا تقتصر اللغة العربية على كونها وسيلة تعبير كما تذهب إليه البحوث النظرية في الغرب التي لا تفرق بين لغة وأخرى؛ لأنها كلها وسائل تعبير وتواصل وتفاهم وإنَّما تتميَّز اللغة العربية بأنها ذات مضامين علميَّة ومنهجيَّة وموضوعيَّة وحضارية، وتميَّزت في ذلك كله بالبيان والسهولة والوضوح على الرغم مِمَّا قد يبدو من صعوبة تعلمها في بادئ الأمر. ويذكر الباحثون المختصون إنَّ واقعها (منحها نوعًا من التميُّز والتفرد إذ أكسبتها تجربتها الحضارية على مدى قرون ثروة هائلة من البنى. واحتبست تعابيرها في أرحامها قدرات خفيَّة على العطاء وعلى الإيحاء وعلى تنويع التعبير... كما أكسبها انتشارها الواسع في بقاع فسيحة من الأرض وتفاعلها مع جماعات لغويَّة كثيرة

ألوانًا من الغنى، تأثرًا وتأثيرًا، فهي إذن ليست... اللغة الأوليَّة البدائية التي تحاول أن تصبو إلى مقاربة الحضارة أو ملاحقتها أو الاندماج فيها... وإنَّما هي اللغة ذات التجربة السابقة وما كان لظاهرة ما اجتماعية أو إنسانية أن تقوى على التخلي عن تجاربها السابقة، فهذه التجارب جزءٌ منها)١٢.

ت- تواصل اللغة العربية الثقافي وتفاعلها الحضاري ويتجلى ذلك في ما قرره المختصون من كونها (كسبت الصراع اللغوي الذي خاضته وهي تلازم انتشار الإسلام بسبب عامل جوهري هو أنها لم تكن لغة مستعمر غاصب ولا سلطان مستغل، وإنَّما كانت لغة الفطرة، لغة القلب والعقل، لغة الغيب والشهادة، لغة العدل والرحمة والمساواة والحق، ولو لم يلمس الناس حقيقة هذه المعاني وغيرها مِمَّا جاء به الإسلام، وقارنوا بينها وبين ما كانوا عليه من ظلمات وظلم ومفاسد لما أذعنوا وتشربوا الإيمان وتوارثوه جيلاً بعد جيل)١٣.

التحديات في مسار اللغة العربية:

خاضت اللغة العربية صراعاً عقدياً وتشريعياً وأخلاقياً واجتماعياً ونفسياً وواجهت تحديات متنوعة...

١- في زمن النبوة من أول كلمة نزلت (اقرأ) وحتى (إذا جاء نصر الله والفتح)١٤ وكان ذلك كله في بيئتها وفي أوساط جهابذة الفصاحة والبيان الذين تتلمذوا على القرآن الكريم تلاوةً وحفظاً، وتربوا على مبادئه وطبقوا أحكامه واهتدوا بهديه وفقاً لسنة نبيه التي كانت الشطر المتمم له كما قال صلى الله عليه وسلم: (آلا إني أوتيت القرآن ومثله معه)١٥ وهو أفصح من نطق بالضاد فكانت السنة مفسرة ومبينة وموضحه لما أجمل فيه بتفصيله وما جاء عاماً بتخصيصه وبتطبيق تعاليمه وأحكامه والحث على دراسته والتفكر فيما اشتمل عليه من الآيات والقصص لاستجلاء العبرة والنظر في الأحوال و المآلات والتقرب إلى الله بتلاوته آناء الليل وأطراف النهار وحفظ ما تيسر منه وقراءته في الصلوات المفروض منها والنوافل وكذلك ذكر الله بآياته ودعاؤه بما فيه من الدعاء بأسمائه الحسنى وصفات الجلال والكمال (وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا)١٧، ١٦ كان هذا ديدن المتلقين للتنزيل من الصحابة الكرام حتى لانت به الألسنة وقويت الأرواح وتفتقت الأذهان وتشنفت الآذان بترتيله وتجويده والتغني به وانشرحت الأفئدة وانسرت العيون ذلك كله باللغة العربية المجتباه، التي أشرقت شمسها وسطع ضياؤها ثم بلغت بفضل القرآن الكريم ما بلغت الشمس.

٢- لازمت اللغة العربية الإسلام وتاريخه وعبَّرت عنه وعن مبادئه وقيمه وآدابه وهديه وتشريعاته وانتشرت بانتشاره في انحاء واسعة من القارة الأسيوية عنْ طريقِ الفتوح والتجارة حتى وصلت إلى أرخبيل الملايو وقد كتب كثيرٌ من الباحثين عن أثر اللغة العربية في الشعوب الشرقية الآسيوية وأحصى بعضهم منها ستاً وعشرين لغة تستخدم الأبجديَّة العربية، بعضها لا زالت متمسكة بها إلى اليوم، وبعضها الآخر استعاض عنها بالحروف اللاتينيَّة إجابة لخطط أعداء اللغة العربية، أو استعاض عنها بالحروف المحليَّة في تلك البيئات١٨. كما انتشرت اللغة العربية مع الإسلام في أفريقيا، وواجهت فيها عشرات اللغات تفاعلت معها وغدت جزءاً أساسياً من اللغة اليوميَّة في حياة الناس، وأصبحت اللغة العربية في العالم الإسلامي المترامي الأطراف لغة العقيدة والشريعة والأخلاق والسلوك بل والفكر والثقافة والعلم والتعليم والتجارة.

٣- عرفت أوروبا اللغة العربيَّة منذُ بداية الصراع البيزنطي الإسلامي في الشرق ثمَّ الصراع القوطي الإسلامي في أسبانيا وأسهمت كذلك الحروب الصليبيّة التي امتدت قروناً بين الأمةَّ الإسلامية والغرب، ولعل الأثر الأبعد والأعمق هو ذلك الاتصال الحضاري بين الحضارة العربية الإسلامية والغرب عبر الأندلس وصقلية وجنوب إيطاليا وبلدان البلقان،

فقد أقبل الغرب النصراني في تلك الحقبة على الحضارة الإسلامية ولغتها العربيَّة ينهلون من معينها ويتزودون من ثقافتها وكان إتقان العربية شرطاً أوليًّا في ذلك١٩.

٤- لمعت أسماءُ عدَّة، وممَّا يذكر أن طلاب الجامعات الأوروبيَّة لا يقلون إتقاناً للعربية عن أساتذتهم حتى قيل عن (روجر بيكون)٢٠ الذي كان يدرس في مدرجات الجامعات الغربية باللغة العربية وَممّا يروى: (إنَّ تلاميذه كانوا يتهكمون عليه أحياناً إذا أخطأ في ترجمة بعض النصوص العربية إلى اللاتينية)٢١، وجاء في رسالة أحد أساقفة قرطبة لصديق له عام ٨٥٤م: (من الذي يعكف اليوم بين أتباعنا .. على دراسة الكتاب المقدس أو يرجع إلى كتاب أيِّ عالم من علمائنا، ممن كتبوا باللاتينية؟ من منهم يدرس الإنجيل أو الأنبياء والرسل؟ إننا لا نرى غير شبان مسيحيين هاموا حباً باللغة العربية يبحثون عن كتبها و يقتنونها ، ويدرسونها في شغف، ويعلقون عليها ويتحدثون بها في طلاقة، ويكتبون بها في جمال وبلاغة ويقولون فيها الشعر في رقة وأناقة، يا للحزن! مسيحيون يجهلون كتابهم وقانونهم ولاتينيتهم وينسون لغتهم نفسها...)٢٢، وكان أحد المستشرقين العاملين في التنصير يفخر بأنه يقطع العالم الإسلامي ويتفاهم مع كافة شعوبه من مغربه حتى أقصى شرقه دون الحاجة لمترجم وما ذاك إلا لأنه أتقن اللغة العربية٢٣.

٥- بما إن اللغة العربية بلغت هذه المكانة من العالمية والانتشار الواسع بسبب القرآن الكريم فقد استهدفها المغرضون الحاقدون على الإسلام في سياق تفتيت وحدة المسلمين بتخريب لغتهم الواحدة بمختلف الوسائل والأساليب؛ منها:

أ. إثارة الشبهات حول قدرتها على مسايرة التطور والحداثة.

ب. الإدعاء بصعوبتها أو بصعوبة نحوها أو بعض علومها.

ت. فرض اللغات الأخرى وإزاحة اللغة العربية عن حقول العلم والمعرفة.

ث. تشجيع العاميات ودعمها ومساندتها.٢٤

كانت تلك الأساليب والوسائل تعتمد على الحيل الساذجة المكشوفة والادعاءات الموهمة الواهية، وبقوة السلطة والدعاية والإعلام وبخاصة في فترات الاستعمار ثم ما خلفه من عهود التبعية والتخلف حتى زحزحت اللغة العربية عن مكانتها وحلت اللغات الأجنبية وبخاصة الانجليزية والفرنسية محلها في كثير من التخصصات العلمية والأدبية وفي جوانب مهمة وكثيرة من الحياة العامة ، من خلال (التشكيك في مدى قدرة العربية على استيعاب الحضارة الحديثة إما لأنها غير محدودة الألفاظ وغير قابلة للتطور وإما لأنها عامرة بألفاظ الصحراء لما تعداه الزمن وإما لأنها عسيرة في كتابتها او استيعاب قواعدها النحوية الصرفية الى غير ذلك مما وجد له صدى قوياً عند كثير من أدباء العرب وكتاباتهم فمنهم من نادى بكتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية كما نادى البعض بتسكين أواخر الكلمات وإلغاء النحو وفي كل هذه الدعوات خدمة للاستعمار وهدم للغة العربية ولعل الغربيين أنفسهم لم يكونوا يتصورون أن من العرب من يستطيع أن يتجاوب معهم بتلك السرعة والسهولة لأنهم يعترفون ضمنياً بعظمة اللغة العربية وأنه ليس من السهل تناسي عظمتها)٢٥

وعلى الرغم من هذه الدعاوى المفتعلة والمخططات الماكرة وما أحدثت من أزمات حول الإنتماء والهوية وتصدع في الوحدة فقد انحسرت تلك الدعاوى وأخفقت سائر المخططات وبقيت اللغة العربية برونقها الذاتي وقوتها المتجذرة وأصالتها الفريدة وأن سائر تلك الدعاوى في حقيقتها وجوهرها سمات مميزة لها؛ لا غرو فهي لما تزل محفوظة بحفظ القرآن الكريم تصدح بها المآذن وتؤدى الصلوات وتعظم الشعائر ويذكر بها الله ويدعى ويعبد٢٦.

الفرص المتاحة للغة العربية وسبل الإفادة منها:

لم تدخل اللغة العربية في جولة صراع مع غيرها إلا وانتهت الجولة بانتصارها وعلوها على منافسيها بفارق إنساني حضاري لصالحها تسمو به وتعلو وسقوط منافسيها سقوطاً صارخاً في دركات هامش التاريخ بصغار وذلة لا تنزع عنهم حتى يوم

القيامة... ولا غرو فاللغة العربية هي اللغة التي اجتباها الرحمن وشرفها واختارها لغةً للقرآن الكريم الذي هو خطاب الإسلام الدين الخاتم لجميع البشر وكل موجودات العالم وتطوراتها والمتمم للأديان والرسالات قاطبة ، وها هي الأمم والشعوب في سلمها الحضاري تتوافر على اللغة العربية دراسةً وتوظيفاً إدراكاً منهم بفاعليتها الحضارية بعد أن اتجهت الدراسات والبحوث إلي النظام اللغوي في ضوء مكتشفات العلم وبخاصة على صعيد الحقائق الفيزيائية٢٧ وتقدم الرؤية الثقافية العالمية وتماهيهما مع اللغة العربية في نظامها الكوني ، في ظل هذه التطورات سنحت الفرص للغة العربية وظهر ذلك من خلال الآتي :

أ. كشفت الدراسات اللسانيات الحديثة عن أسرار هذه اللغة وعظمتها الذاتية وأن السيادة ستعود لها في القريب العاجل لريادتها المنهجية والموضوعية والعلمية ونشأت لخدمتها وإبرازها وتوظيفها كراسي البحث والأقسام العلمية في الجامعات العالمية العريقة في كل من بريطانيا وفرنسا وأمريكا وروسيا والصين واليابان وغيرها وظهر مؤخراً تخصص جديد بمسمى علم اللغة الكوني أظهر حقيقة أن المستقبل للغة العربية لتكون اللغة الكونية الوحيدة لا محالة. ٢٨

ب. عممت روسيا في الآونة الأخيرة لسك ألفاظ عربية لمسميات علمية بالغة التقدم في المضمار العلمي٢٩

ت. تخطو الصين خطوات واسعة نحو اللغة العربية إذ تدرس اللغة العربية في حوالي ثلاثين جامعة من جامعاتها الأساس.....٣٠

ث. أنشئت وحدات خاصة باللغة العربية في بعض الجامعات اليابانية والكورية بعضها منذ خمسين عاما٣١

إن من المؤسف حقاً ما يحدث من عقوق لهذه اللغة الماجدة الإنسانية الحضارية من ابنائها في حين يعول عليهم كثيراً كثيراً في التشبث بلغتهم والاعتزاز بها ورفع راياتها في ساحاتهم وتشرب آدابها ودعم تواجدها في حياتهم اليومية بما يرفع الرأس اعتزازاً بها وعشقاً لأرومتها وتاريخها ومستقبلها الواعد...

إن ما يدعيه بعض الباحثين في اللغات والمجتمعات الإنسانية من أن قوة اللغة العربية قوة ذاتية؛ وذلك كفيل بتحقيق انتصارها وحضورها وريادتها وسيادتها في المحافل والمجامع والساحات وأن لا خوف على مصيرها ومستقبلها هذا صحيح !! لكن الخوف على من يجافيها وينكص عنها ويرتمي في أبجديات اللغات الأخرى سفهاً أو صلفاً هو من يستحق ___ في الحقيقة ___ الشفقة والترحم؛ لأنه الخاسر الأول !؟

ليس أقل من كونه استبدل الأدنى بالذي هو خير !!

فكيف بمن ينطق باللهجات الدارجة بحروف لاتينية !!!!!!

طبعاً قد يحدث ذلك بدون قصد سيء ويحدث استجابة لسهولة الاستعمال أو تمشيةً للحال أو بنوع من البحث عن المختلف والغريب والمثير ولكن لذلك سلبيات فادحة تؤثر على الذائقة وتبلبل المنظومات اللغوية للفرد والمحيط الاجتماعي في وقت ربما كان قياسياً ربما أدركه الحانقون على اللغة الحاسدون لأمة الإسلام وراهنوا عليه واهتبلوه كأسلوب ووسيلة لما يتطلعون إليه من هدم لمقومات الذاتية وخصائص الإنتماء لأجيال العروبة والإسلام.

من المفارقات المحزنة حقاً أن يتهافت فئام من العرب والمسلمين على نيران لغات القوم كالفراش ويستهينوا بلغتهم الماجدة ويشاركوا بصلف وجهالة وحماقة في هدم ذاتيتهم ... فلا المعتقد ضبطهم ولا هذا المستقبل المبهر للغة العربية شجعهم كي يعوا ويفهموا ويدركوا ما خصهم الله به من سيادة وتشريف وبالتالي ينهضوا للقيام بالمسؤولية بعزيمة واقتدار.

فسبحان من اجتباها لتكون لسان القرآن الكريم ولسان المصطفى صلى الله عليه وسلم وبالتالي اللغة الكونية الوحيدة ولسان نهاية التاريخ إن صح التعبير !!.

هل علمتم ما وصل إليه العلم بشأن اللغات وأن الإحصاء جاء على ألف لغة انقرض منها أربعمائة وتبقى ستمائة ستنقرض كلها خلال هذا القرن عدا لغة واحدة وفقاً لما قرره العلماء المختصون في علم اللغات وهل علمتم بأن هذه اللغة الوحيدة الباقية هي اللغة العربية !!٣٢

قد يقول قائل بأن هذا منطلق عقدي راسخ في وعي المسلمين ومسلم به ومن أبجديات عقيدة الدين

الإسلامي ولوازمها !!

وهذا صحيح !!

فاللغة التي اختارها الله عز وجل لكتابه بلسان عربي مبين واصطفاها لدينه وكانت لغة نبيه ودين الإسلام حتماً ستكون هي الخالدة الحية الباقية ما بقي الإسلام الدين العالمي الخاتم.

بيد إن المذهل أن يتجلى هذا الإعجاز في جامعات غربية خصصت لذلك أقساماً ومراكز وكراسي بحث ودراسات ثم وصل بهم الأمر أن يكتبوا العلوم والوثائق والمستندات التي يريدون لها البقاء باللغة العربية وانطلقوا في هذا المشروع الذي أصبح عالمياً أو كاد لئلا تنقرض تلك المعارف والوثائق بانقراض لغاتها٣٢

ها هي الفرص تشرع أبوابها لمستقبلٍ واعد ورائد للغة العربية وإهتبالها واجب مقدس يحتمه الشعور بالمسؤولية والاضطلاع بشرف الرسالة ولئن كانت سبل الإفادة منها من الكثرة والتنوع بمكان فلا أقل من إيراد تصور مبدئي للإفادة منها على النحو الآتي:

- تخصيص لجنة دائمة للنظر في الفرص المتاحة للغة العربية في الحاضر والمستقبل والتعامل معها بروح السبق والمسارعة لاستشرافها والإحاطة بها والتعامل معها بأنجع الوسائل والأساليب.
- الأخذ بزمام المبادرة في التواصل مع الأقسام العلمية المخصصة للغة العربية في الجامعات العالمية ومراكز البحوث والمعاهد المتخصصة في تعليمها.
- التواصل مع تلك الأقسام والمراكز والمعاهد من خلال القنوات الدبلوماسية والرسمية والإفادة من خبرتها والتشاور معها لاتخاذ الوسائل والأساليب الإبداعية في دعم اللغة العربية والتفاعل الإيجابي لتحقيق ذلك .
- رسم الخطط وتحديد الآليات الكفيلة بالتواصل المثمر مع تلك الجهات وتحديدها وفق الأنظمة والتشريعات المعمول بها رسمياً وتبادل الخبرات وتنمية التعاون من خلال مشاريع الأبحاث العلمية والندوات وورش العمل والمؤتمرات وتبادل المؤلفات والاشتراك في البرامج والخطط والتأليف وسائر الأعمال العلمية.
- إعداد قوائم بالمختصين باللغة العربية والتأليف فيها والشخصيات البارزة التي تعمل على نشرها وتوطينها في مختلف أنحاء العالم واستكتابهم في إصدارات المجلس الحالية والمستقبلية ودعوتهم لمؤتمراته الدولية وندواته وما يناسبهم من برامجه وأعماله وفتح المجال لهم في إثرائه بتجاربهم وخبراتهم وأفكارهم الإبداعية، وتزويدهم بأعمال مؤتمراته العلمية.
- رصد الأفكار الناجمة عن اللقاءات والكتابات وتفعيلها في التواصل العلمي الداعم لمسيرة اللغة العربية وتمكينها وسيادتها.
- الإفادة من البحوث العلمية المقدمة لمؤتمرات المجلس سواءً نشرها في المجلات المحكمة في الجامعات العربية والعالمية ومراكز البحوث والدراسات المتخصصة أو من خلال مجلة محكمة يصدرها المجلس، كذلك العمل على طباعة أعمال المؤتمرات التي يعقدها المجلس في كتب بالصفة التي تلائم العصر و تواكبه من حيث الاعداد والاخراج والعمل الموسوعي والمتخصص والبيع والتبادل والاهداء.

ختاماً:

فإنَّ تمكين اللغة العربية مسؤولية إنسانية ورقي حضاري باعتبارها لغة الإسلام والإسلام خاتم الأديان لهذا ولكونه ديناً عالمياً بل كونياً ؛ فهذا ولا شك يؤسس لعقيدة أن اللغة العربية اللغة الأولى الأظهر و الأقوم والأقوى وأنها ستعلو بمرور الزمن مهما كاد لها الكائدون ومهما نال من ريادتها وقيادتها وسيادتها المعادون الماكرون ، وبالفعل فقد خاضت معارك ضارية وجالت في ميادين صراع متكررة ربما فرض بعضها عليها فرضاً واستدرجت لدخوله استدراجاً بغية هدمها وتغيير نظامها وخرجت في كل جولة ومن كل معركة منتصرة ظافرة عالية والملحوظ أن خصومها تلاشوا كالفقاعات ولا يكاد يذكرون ولا تكاد تذكر دسائسهم وأساليبهم في صراعهم مع تلك اللغة الماجدة لغة القرآن الكريم ولسان المصطفى الأمين إلا عرفت سذاجتهم وسذاجة فكرهم وضعف كيدهم وهوان ادعاءاتهم وقد علل ذلك بتعليلات كثيرة منها النظر لقوة اللغة العربية الذاتية، ومنها النظر لجوانبها الموضوعية والمنهجية والعلمية

، ومنها كذلك النظر لتاريخ انتشارها الإنساني السلمي الذي استجابت له الفطر والعقول وأدركه الرقي الفكري والحضاري والوعي الأدبي..

لكن الجديد حقاً والذي يحتاج لمزيد من التتبع والإظهار هو جانب الإعجاز في نظامها اللغوي وتوافقه مع أحدث المكتشفات الفيزيائية في النظرة الكونية الحديثة التي ربطت بين نظام الكون واللغة... كذلك المدرج الرياضي الذي سيبلغه الحاسب الآلي وينتهي إليه الذي تعجز عن مسايرته والاستجابة له جميع اللغات البشرية إلا اللغة العربية٣٤.

السؤال الحائر لمَ التفريط في هذه اللغة الماجدة الإنسانية الحضارية ؟! ولمَ لا تتنهز هذه الفرص التي اتخذت طابع العالمية لسيادة اللغة العربية في الوطن العربي الذي هو التربة لزرعها والفضاء لتنفسها والأصل في أرومتها...!؟

إن من المفارقات المحزنة أن يفرط أبناء اللغة العربية في جنابها بالاستجابة الساذجة للدعوات المغرضة والأساليب المؤدلجة الماكرة في إحلال اللغة الانجليزية محل العربية ليس في التعليم والتدريب فحسب وإنما في التعامل اليومي والحياة العامة في هذا الوقت الذي تتجه فيه شعوب العالم وعلومه المتقدمة بأنظارها وتشرئب بأعناقها إلى هذه اللغة الماجدة اللغة العربية كما تبين سابقاً ويكون ذلك الإقبال على اللغة العربية بشغف وتعشق وتقدير بالغ واكتشاف مذهل للقوى الكامنة فيها.

ولئن وجب الشكر للمدافعين عن العربية والمهتمين بشأنها بخاصة في هذا المجلس الواعد فإن الشكر موصول كذلك للرعاية الكريمة التي أولاها الشيخ محمد بن راشد للغة العربية وسدنتها النبلاء وأخص بالشكر الدكتور علي الموسى ابن اللغة العربية البار الذي تفانى في خدمتها وخلع عليها لقب (صاحبة الجلالة) بعشق وحب وهيام يصعب أن أصفه إلا في مقامٍ آخر ومناسبةٍ أخرى بإذن الله كذلكً يقتضي الاعتزاز والانصاف الإشادة بدور المملكة العربية السعودية الداعم للغة القرآن الكريم في كافة الميادين وعلى جَميع الأصعدة وفي المحافل الدولية ولا أدل على ذلك من العمل الجاد والجهد المتواصل لإدراجها ضمن اللغات الرسمية العالمية عبر اليونسكو حتى صدر عن(الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها رقم ????، والذي يقر بموجبه إدخال اللغة العربية ضمن اللغات الرسمية ولغات العمل في الأمم المتحدة. بعد اقتراح قدمته المملكة المغربية والمملكة العربية السعودية و الجماهيرية العربية الليبية خلال انعقاد الدورة ??? للمجلس التنفيذي لمنظمة اليونسكو)٣٥ وما تلا ذلك ولحق به من دعم مادي ومعنوي وإجرائي توج بـ(اليوم العالمي للغة العربية) الذي يُحتفل فيه باللغة العربية في ١٨ كانون الأول / ديسمبر من كل عام)٣٦ وقبل ذلك وأهم من ذلك كونها لغتها الرسمية الوحيدة المدعومة بالنظم واللوائح التي تمكنها وتحمي سيادتها وتمنع مزاحمتها بغيرها من اللغات الأجنبية أو اللهجات العامية في التعليم والإعلام وكذلك في الحياة العامة كمنع استخدام غير العربية في المحالات التجارية والفنادق والدعايات والإعلانات والشكر موصول للهيئة العامة للسياحة والآثار في المملكة العربية السعودية لمنعها التحدث بغير العربية في الجهات التابعة لها من الفنادق ونحوها وفرض غرامات رادعة على من يخالف هذه التعليمات كما إنه ينبغي التوافر على المطالبة بتنفيذ الأوامر السامية الصادرة في أوقات متكررة لدعم اللغة العربية وتمكينها ومكافحة الغزو الثقافي الذي يربط بين مصالح الناس واللغة الانجليزية الذي من شأنه أن يفرضها كثقافة !!؟؟

(سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين)

الهوامش

١- انظر: الشافعي الرسالة، تحقيق: أحمد شاكر، بيروت، دار الكتب العلمية(د.ت) ص ??، ??، وانظر: إسحاق السعدي تميّز الأمة الإسلامية مع دراسة نقدية لموقف المستشرقين منه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط/ ١٤٢٦هـ ، ج؟ ص ١٠١٢.

٢ - انظر: جميل عيسى الملائكة، اللغة العربية ومكانتها في الثقافة العربية الإسلامية، (من قضايا اللغة العربية المعاصرة)، تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة الثقافة، (د.ط)١٩٩٠م، ص

١٢٥،١٢٤.

٣ – هو: ابن الحكم بن أبي العاص بن أمية الخليفة الفقيه أبو الوليد الأموي ولد عام ٢٦ وتوفي عام٨٦هـ، انظر: شمس الدين الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١١/ ١٤١٧هـ، سير أعلام النبلاء(٢٤٦/٤)، وانظر: أحمد أمين، فجر الإسلام يبحث عن الحياة العقلية في صدر الإسلام إلى آخر الدولة الأموية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢/١٩٣٣م، ص١٦٤.

٤ – تمام حسَّان، اللغة العربية والشعوب الإسلامية، (من قضايا اللغة العربية المعاصرة)، تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة الثقافة، (د.ط)١٩٩٠م، ص٧٤.

٥ – محمد مصطفى الحاج، عالمية اللغة العربية،(من قضايا اللغة العربية المعاصرة)، تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة الثقافة، (د.ط)١٩٩٠م، ص٢٥٨.

٦ – علي الشابي، اللغة العربية لغة القرآن ورسالة الإسلام، ،(من قضايا اللغة العربية المعاصرة)، تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة الثقافة، (د.ط)١٩٩٠م،ص٦١

٧ – محمد مصطفى الحاج، المرجع السابق، ص٢٥٨، وانظر: اللغة التي تكلم بها آدم، العلم والإيمان، http://www.youtube.com/watch?v=vjk٢Q١qwSYw

٨ – أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، عن دار المعارف، مصر، ط٦(بدون تاريخ) ص١١، وانظر: محمد مصطفى الحاج ،عالمية اللغة العربية، مرجع سابق، ص٢٧٠.

٩ – أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، ص١١–١٢، المرجع السابق نفسه، وانظر محمد مصطفى الحاج، عالمية اللغة العربية، المرجع السابق نفسه، ص٢٧٠.

١٠ –نقلا عن : محمد مصطفى الحاج ، المرجع نفسه، ص٢٧٤، وانظر: نائف كعروف، خصائص العربية وطرائق تدريسها، بيروت، دار النفائس، ط٢، ١٤٠٧هـ، ص٤٠.

١١ – نقلاً عن: الحاج: المرجع السابق نفسه: ص ٢٧٤، وانظر: نائف معروف: المرجع السابق نفسه: ص ٤٠. ويعد هذا سرٌّ اختصت به اللغة العربية مِمَّا جعل الباحثين يجتهدون في أصل نشأة اللغة العربية، وذهب بعضهم إلى أنها لغة توقيفية واستدلوا بقوله تعالى: (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا

ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ???? سورة البقرة :٣١، وقال بعضهم الآخر: إنها اصطلاحية... لزيادة الاطلاع على هذه القضية؛ انظر: ابن فارس: الصاحبي: ص ٦ – ٣١، في فقه اللغة العربيَّة وسنن العرب في كلامها ، تحقيق : أحمد صقر ، القاهرة : مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، (د . ت) ، وبتحقيق : عمر فاروق الطباع ، بيروت : مكتبة المعارف ، ط١ ، ١٤١٤ هـ/١٩٩٣ م ، وابن جني: الخصائص ١/ ٤٤ – ٤٧، تحقيق: محمد علي النجار، (بدون تاريخ ولم يذكر الناشر)، وانظر: السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ١/ ٨ – ٥٥، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وآخرين، طبعة دار إحياء الكتب العربيَّة (عيسى البابي الحلبي وشركاه)، بدون تاريخ، وانظر: ابن حزم: الإحكام في أصول الأحكام: ١/ ٢٩ – ٣٥، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، بيروت : منشورات الآفاق الجديدة ، ط١ ، ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠ م ، وانظر: محمد الخضر حسين: دراسات في العربية وتاريخها: ص ١٠، الطبعة الثانية ١٣٨٠ هـ–١٩٦٠ م، عن المكتب الإسلامي، دمشق، وعددًا آخر من المراجع الحديثة، ونوقشت هذه القضية حتى عند اللغويين في الغرب وأكثروا القول فيها وطال الجدل حولها ممَّا دعا الجمعية اللغوية الفرنسية إلى اتخاذ قرار بمنع البحث في هذه المسألة في قاعات الجمعية لعدم جدوى البحث فيه ولعقم النظريات المطروحة بصدده حسب زعمهم؛ انظر: نايف معروف: المرجع السابق نفسه: ص ٢٣.

١٢ – شكري فيصل: قضايا اللغة العربيَّة المعاصرة، تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة الثقافة، (د.ط) ١٩٩٠م، ص ٣٢

١٣ – محمد مصطفى بن الحاج: عالميَّة اللغة العربية، (مرجع سابق) ص ٢٥٨.

١٤ – سورة النصر:١

١٥ – أخرجه أبو داوود في سننه برقم(٤٦٠٤) صححه الألباني.

١٦ – سورة الأعراف: ١٨٠.

١٧ – انظر: حسن محمد باجودة، القرآن الكريم حافظ للغة ، اللغة العربية آفاق مستقبلية، المنهل، العدد ٥٠٤ شوال ذو القعدة ١٤١٣هـ، ص٦–٢١.

١٨ – انظر: حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، خارطة رقم ٦٤، عن دار الزهراء للإعلام العربي –مصر، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ–١٩٨٧ م، ص ٢٢٨، وانظر: كريم حسام الدين، العربية تطور وتاريخ دراسة تاريخية لنشأة العربية والخط وانتشارهما، ص٢٧٠–٢٩٧.

١٩ – انظر: محمد الحاج، عالمية اللغة، (المرجع السابق نفسه)، ص٢٦٥، وانظر:حسين نصار ، اللغة و قوميتنا العربية، اللغة العربية آفاق مستقبلية، المنهل، العدد ٥٠٤ شوال ذو القعدة ١٤١٣هـ، ص٣٨، وانظر: جرجي زيدان، اللغة العربية كائن حي، دار الجيل، بيروت، ط٢/١٩٨٨، ص٦٧–٦٩، وانظر: شمس العرب تسطع على الغرب أثر الحضارة العربية في أوربا، ترجمة: فاروق بيضون–كمال دسوقي، دار الجيل ، ط٨/١٤١٣هـ، ص٤٣–٦٥.

٢٠ – روجر بيكون هو: ولد سنة ١٢١٤م توفي عام ١٢٩٢م فيلسوف وعالم انجليزي وواحد من الشخصيات الرائدة في تطوير العلوم في القرون الوسطى عُرف مؤسساً للعلوم التجريبية وأحد الباحثين الأوائل في دراسة علم البصريات وهو فرع في علم الفيزياء وقد ساعد على إرساء القواعد للثورة العلمية التي ظهرت في أوروبا في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، انظر: الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال المؤسسة للنشر والتوزيع ،ط٢/١٤١٩هـ(٥/ ٤٥٤).

٢١ – انظر: محمد مصطفى بن الحاج: عالميَّة اللغة العربيَّة: ص ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٥، (المرجع السابق نفسه).

٢٢ –نقلاً عن: أبي عبدالله محمد بن سعيد بن رسلان: فضل العربية ووجوب تعلمها على المسلمين،طبعة جمادى الآخرة ١٤٠٩ هـ، يناير ١٩٨٩ م، عن دار العلوم الإسلاميَّة – القاهرة، ودار البخاري – المدينة المنورة، ص ٣٤،وانظر: محمد سويس: اللغة العربية في مواكبة الفكر العلمي، (من قضايا اللغة العربية)... ص ١٤٢، وانظر: برنارد لويس: العرب في التاريخ تعريب : نبيل صبحي ، القاهرة : المختار الإسلامي ، ط١ ، ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م ، وانظر: جمال الدين الشيال: التاريخ الإسلامي، طبعة دار الثقافة، بيروت، (بدون تاريخ)، ص ١٩–٢٠.

٢٣ – انظر: إدوارد سعيد: الاستشراق، ترجمة: كمال أبو ديب، بيروت ،مؤسسة الأبحاث العربيَّة ،ط٢/ ١٩٨٤م، ص ٨١

٢٤ – انظر: ناول عبد الهادي، لغة الضاد بين التشكيك والتحديث، اللغة العربية آفاق مستقبلية، المنهل، العدد ٥٠٤ شوال ذو القعدة ١٤١٣هـ، ص٨٤–٨٥، وانظر: سمر الفيصل، قضايا اللغة العربية في العصر الحديث، الإمارات ، ٢٠٠٩م.

الرابط: http://www.mohamedrabeea.com/books/book١___١٩٣٦.pdf

٢٥ – ناول عبد الهادي،(المرجع السابق نفسه)، ص٨٥، وانظر:

٢٦ – انظر: حسن محمد باجودة، القرآن الكريم حافظ اللغة، (المرجع السابق نفسه) ص٦–٧.

٢٧ – تحدث عن قوة الخط العربي واللفظ العربي واستخدام هذه اللغة حديثاً في العلاج والتشافي وتوافقها مع الحقائق الفيزيائية العالم الياباني مسارو ايموتو مكتشف قوة تركيب الكلمة العربية، انظر: http://www.youtube.com/watch?v=oGIXKcyvZvQ وانظر: البدراوي زهران، اللغة العربية لغة العلوم والتقنية، اللغة العربية آفاق مستقبلية، المنهل، العدد ٥٠٤ شوال ذو القعدة ١٤١٣هـ، ص١٩٠–١٩٨.

٢٨ – انظر: عبد الرحمن البوريني، اللغة العربية أصل اللغات كلها، دار الحسن، ط١/ ١٤١٩هـ، ص٦٢–٨٠، وانظر: حلمي صابر، قضايا معاصرة في ضوء الإسلام، دار عالم الكتب، الرياض، ط١/١٤١٦هـ، ص١٩١–٢٠٩.

٢٩ – المرجع في ذلك قيد التحقق وانظر : اللغة العربية في روسيا القيصرية http://sedeeks.blogspot.com/٢٠١٤/٠٣/blog-post___٣٠٨.html?m=١ وانظر: وليد سميح عبد المتعال : العربية لغة المستقبل، الرابط: http://www.alukah.net/literature___language/٠/٤١٤/#/٧٧ixzz٣Nkunxhlc أورد فيه : (وقد حكى لنا شيخُنا الدكتور فتحي جمعة –أستاذ اللغويات بدار العلوم– قصةً عجيبة؛ أن جماعة من العلماء الروس وضعوا النفايات النووية في أماكن بعيدة يُتوقع العثور عليها بعد أربعة أو خمسة قرون، فأرادوا أن يكتبوا رسالةً لهذه الأجيال المستقبلية، فبحثوا وفتشوا واستفتوا أهلَ الخبرة باللغات ليعلموا اللغة التي يمكن أن تبقى بعد هذه القرون الطويلة، فلم يجدوا لغة يمكن أن تبقى هذه المدة الطويلة إلا اللغة العربية، فكتبوا رسالتهم باللغة العربية، فانظر إلى هذه الأمة البعيدة عن العربية كيف يشهدون بأن اللغة العربية هي لغة المستقبل؟

وانظر : أحمد بن نعمان : واقع اللغة العربية في أجهزة الإعلام)عرض تقويمي)،يحكي عن مختص في الحاسوب : أنه اكتشف أن مكونات اللغة العربية (بالمقارنة مع اللغات الأخرى) كأنما هي وضعت لعصر الإلكترون، فقد استوعبها الحاسوب بثلاث محاولات بدلاً من ست وعشرين،

الرابط: http://uqu.edu.sa/page/ar/١٤٨٣٢٠

٣٠ – انظر : عبدالله المدني : الصين .. طفرة في تدريس العربية http://www.alittihad.ae/mobile/wajhatdetails.php?id=٢٣٪٨٢٧٠٩

يقول : (واليوم هناك إقبال منقطع النظير من الشباب الصين الباحث عن رواتب متميزة لتعلم العربية لأن إجادتها تضمن حصوله سريعا على وظيفة مترجم لدى كبريات الشركات الصينية المتعاملة مع العالم العربي، أو لدى وسائل الإعلام المتنوعة، أو مترجم مرافق لرجال الأعمال العرب، وبالتالي الحصول على راتب يتراوح ما بين ١٠٠٠ ـ ٢٠٠٠ دولار أي أضعاف ما يحصل عليه الخريج الصيني المتخصص في العلوم الأخرى. وجملة القول إن «تدريس العربية في الصين تحول من التعليم المسجدي إلى التعليم المدرسي، وانتقل هدفه من الوفاء بمتطلبات المسلمين إلى تحقيق العائدات الاقتصادية» طبقا لأحد المسؤولين. والدليل هو أنه قبل عشر سنوات كان في الصين سبع جامعات فقط تدرّس العربية، بينما هي تُدرّس اليوم في ٣٥ جامعة).

٣١ – اللغة العربية تدرس في ست جامعات كورية:
http://www.youtube.com/watch
٢fusI٦٠d٤MQ&app=de=?v
sktop

٣٢ – علم اللغة الكوني واعجاز اللغة العربية
https://t.co/V٣CDAddwsG

٣٣ – انظر العربية أم اللغات ومعجم الفردوس شاهداً: https://t.
co/r٧qWgilGi٦ الرابط السابق نفسه وانظر نشأة اللغة العربية:
https://t.co/xkQEQBf٢Hp

٣٤ – انظر: محمد علي الزركان ، اللسانيات وبرمجة اللغة العربية في الحاسوب، اللغة العربية آفاق مستقبلية، المنهل، العدد ٥٠٤ شوال ذو القعدة ١٤١٣هـ ، ص١٨٢–١٨٩ ، وانظر: البدراوي زهران، اللغة العربية لغة العلوم والتقنية، اللغة العربية آفاق مستقبلية، المنهل، العدد ٥٠٤ شوال ذو القعدة ١٤١٣هـ، ص١٩٠–١٩٨.

٣٥ – لليونسكو مواقف تاريخية في احترام اللغة العربية وتثمين دورها الحضاري الإيجابي الذي أسهم في التقدم العلمي والنهوض بالمعارف الإنسانية وقد ترجمت عن ذلك من خلال برامج وقرارات ونظم تكفل الحضور الفاعل والمميز للغة العربية ويتيح لها المنافسة المشروعة في المضمار اللغوي والتعبير عن الناطقين بالعربية..
انظر : http://unesdoc.unesco.org/